كيلباتريك تتعمد مدوية للولايات المتحدة لدى المنظمة الدولية بالقاء خطاب أمام منظمة «بناي بريث» الصهيونية في واشنطن، وفيه أعلنت «أن الرئيس الأميركي المنتخب رونالد ريغان سيلتزم بتعهداته خلال الحملة الانتخابية، التي تقضي بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية». وأضافت أنها «تتعهد شخصيا بتجنب منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة».

هذه هي اذن الملامح العامة للسياسة الخارجية الاميركية كما تدل عليها أوثق المصادر المسؤولة عنها، رونالد ريغان الرئيس الاميركي الجديد نفسه، ووزير خارجيته الجنرال هيغ، وسفيرته لدى الامم المتحدة كيلباتريك.

دور كيسنجر «الغامض»

وفي هذا الاطار كان لا بد أن ترى ملامح السياسة التي يلتزم ريغان وادارته بانتهاجها ازاء الشرق الأوسط... ازاء الصراع العربي – الاسرائيلي بالتحديد. وفي هذا الاطار نفسه جرت جولة وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر في المنطقة، والتي شملت كلاً من مصر والصومال واسرائيل والسعودية والاردن وسلطنة عمان والمغرب.

وعلى الرغم من أن «جواً غامضاً» قد أحاط بجولة كيسنجر، على الاقل من خلال التأكيدات والتأكيدات المكررة عن أن جولته «شخصية» وليست رسمية، إلا أنه لم يكن للجولة ولا أهدافها أن تخرج عن هذا الاطار نفسه الذي صورته ادارة ريغان لسياستها الخارجية منذ أن كان ريغان يخوض حملته الانتخابية. أما السؤال عن ما إذا كان كيسنجر يقوم بالزيارة لحسابه الخاص أو لحساب ريغان ولإدارة الجمهورية الجديدة فليس سوى سؤال قصد به ترك الباب مفتوحا أمام التفسيرات المختلفة لتصريحات كيسنجر من ناحية وأمام اختبار الادارة الاميركية لنوايا أطراف النزاع من ناحية أخرى.

ولقد كانت الصحافة الاوروبية أسبق إلى ادراك طبيعة علاقة مهمة كيسنجر بأركان السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة. وفي هذا الصدد قالت صحيفة التايمز البريطانية (١٩٨١/١/٧) أن «أسلوب ريغان هو ان يكون متشدداً ومصمما وحتى عدوانيا، ومهمة الدكتور كيسنجر الحالية هي أن يترك انطباعا لهذا الفرض».

ان السؤال عما إذا كان كيسنجر قد قام بجولته موفداً من ريغان أم لا، لا يعود يحمل أي معنى أو مغزى. إذا ما لاحظنا أنه لا يوجد أي خلاف لا في العموميات ولا في الخصوصيات ولا في التفصيلات بين ما قاله ريغان ووزير خارجيته وسفيرته في الامم المتحدة، وبين التصريحات التي أدلى بها كيسنجر اثناء جولته في الشرق الأوسط. فما الذي قاله كيسنجر؟

على الرغم من أن كيسنجر بدأ جولته بالقاهرة (في ١٩٨٠/١٢/٢٩) إلا ان اهم تصريحاته كانت تلك التي أدلى بها في القدس (١٩٨١/١/٦). في القاهرة حرص في تصريحاته على ابراز عدم رسمية دوره الجديد: «لم آت الى هنا للتفاوض، لم آت الى هنا حاملاً رسالة، لم آت الى هنا باية أفكار لتسويغ أية عملية سلام». وكان كل ما تحدث به بصورة محددة عن سياسة ريغان بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط قوله: «ان وجهة نظري هي أن الرئيس المنتخب سيكون ذا فهم واضح للغاية للضرورات الاستراتيجية للمنطقة، وسيكون شديد الحساسية لما سيحصل عليه من نصائح من الرئيس السادات».

وكان ما كتب – في الصحافة الأميركية بالذات – عن الطبيعة الغامضة لدور كيسنجر الجديد اثناء وجوده في القاهرة أكثر بكثير مما كتب عن وجهات نظره أو عن توقعاته. وأثناء وجوده في القاهرة، وعلى الرغم من فقر تصريحاته الشديد، قال أحد مساعدي ريغان في واشنطن أن رحلة كيسنجر «هي شخصية بحتة». ولكنه أردف قائلاً «اننا بطبيعة الحال سنستمع إليه باهتمام حول ما علم به، ان قصص رحلات الدكتور كيسنجر مفعمة بالمعلومات دائما». وقالت مجلة تايم الاميركية (١٩٨١/١/١٢) «ان مكانة كيسنجر الخاصة في معسكر ريغان لم تكن أبدا محددة، والفكرة القائلة بانه «يمثل» الرئيس المنتخب يمكن أن تسبب التباسا في الخارج». بينما قالت نيوزويك (١٩٨١/١/١٢) أن بعض المراقبين يعتقد «أن نية كيسنجر هي مجرد اجراء عمليات جس نبض لصالح ريغان حول مناورات السوفيات في الشرق